المحاضرة رقم (01)

في ماهية السلطة وأنواعها

مفتتح

شغل مفهوم السلطة بأنواعها وأشكالها وآلياتها مساحة واسعة في كتابات العصر الحديث سواء الأدبية والنقدية منها، أم الفلسفية والثقافية والسياسية، نظرا للتحول الاجتماعي المشهود على مستوى المدنيات العربية، والوعي السياسي لدى الفرد والجماعة، فغدا الموقف السياسي مظهرا بارزا يحكم طرائق التفكير والحوار والعلاقات والسلوكيات العامة للناس بما فيها الخطابات الأدبية والفكرية، الأمر الذي يدفعنا إلى مواجهة مفهوم السلطة بحثا عن ماهيته وأنواعه.

1- تعريفها

تعددت مفاهيم السلطة بحسب زوايا النظر، والاتجاهات، مما دفع إلى تنوعها، وتراكمها منذ أفلاطون مرورا بهيجل وهوبز ودوركايم وماركس وهربرماس، ووصولا إلى بورديو وفوكو، سنكتفي منها بتعريف واحد هو لماكس فيبر.

يعرف ماكس فيبر السلطة: «بأنها نوع من القيادة تعمل على إيجاد طاعة أو ائتمار عند أشخاص معينين.»[1]

يكشف التعريف عن مقوم بارز لمظهر السلطة، يحكم طبيعة العلاقة بين (الآمر) و(المأمور)، يتلخص في أحد معنيين هما: الموافقة أو الإجبار، مما يسم طبيعتها بالتوتر طالما أن طرفيها في صراع مستمر، فالآمر يأخذ شرعيته بقوة القانون أو مؤسسات الدولة من أجل فرض سلطانه، بينما يرفض المأمور هذه الشرعية إذا تعارضت مع حقوقه

1)- عبد الله عبد الرحمن، ***علم تطور الفكر الاجتماعي***، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص378.

كالحرية والعدالة الاجتماعية، فيأخذ شرعيته بقوة المقاومة من أجل تغيير أوضاعه، وقلبها للأفضل.

وهو تعريف يقوم على إثبات شرعية السلطة بين الحاكم والمحكوم القائمة على تنوع حقوق ممارستها (الآمر) وواجبات الامتثال لها (المأمور)، منها: السياسية (الحاكم/ المحكوم) والتربوية (المدرسة/ المتمدرس) والعائلية (الأبوان/ الأبناء) والمجتمعية (الأعراف/ الجماعة)، والمبنية على علاقة تفاوت مميزة؛ فهي لا تقوم على المساواة ولا على التراتبية، ولا على القوة أو العنف[2].

كما أنه تعريف يقوم على رصد دينامية السلطة للجماعة (دولة) في مواجهة جماعات أخرى (منظومة دولية)، مما يجعلها بمثابة قوة دافعة لكل مجتمع يريد الاستمرار، أو يبحث لنفسه عن كيان مرهوب في المنظومة السياسية الدولية[3].

يتوزع مفهوم السلطة بين معنيين هما:

2- السلطة بمعناها العام

وهو معنى عام يريد إلى: «الحق في الأمر. وهي تستلزم آمرا ومأمورا وأمرا[...] إنها علاقة بين طرفين متراضيين، يعترف الأول منهما بأن ما يصدره من أمر إلى الطرف الثاني ليس واجبا عليه إلا لأنه صادر له عن حق له فيه، ويعترف الثاني منهما بأن تنفيذه للأمر مبني على وجوب الطاعة عليه وحق الطرف الأول في إصدار الأمر.»[4]

2)- ميريام ريفولت دالون، ***سلطان البدايات، بحث في السلطة***، ترجمة: سايد مطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط1، أيلول (سبتمبر) 2012م، ص51.

3)- مولود طبيب، ***أحكام السلطة السياسية***، دار الخلدونية، الجزائر ، ط1، 2006م، ص9.

4)- ناصيف نصّار، ***منطق السلطة؛ مدخل إلى فلسفة الأمر***، دار أمواج للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط2، 2001م، ص7.

يتناول التعريف شرعية السلطة وعلاقتها بالآخر؛ إذ تفترض علاقة تبادلية إلزامية بين طرفين يكون أحدهما آمرا؛ وهو صاحب الحق في الأمر، والآخر مأمورا؛ وهو الممتثل لصاحب الحق في الأمر، كما تستوجب اعترافا من قبل المأمور بواجب الطاعة للآمر؛ لأنه حق للأول في إصداره وواجب على الثاني في الامتثال له.

3- السلطة بمعنى القدرة

وهو تعريف يحدد السلطة باعتبارها: «قدرة أو قوة يرتكز عليها مجال النفوذ، كل النفوذ.»[5] من الواضح أن هذا التعريف يركز على أحد مظاهر السلطة؛ وهو القوة أو القدرة؛ وهو المأزق الذي وقع فيه كل من تصدى لتعريف السلطة؛ إذ يستهدف منظورا واحدا قد يكون: الشرعية أو المكانة أو التأثير والقدرة أو الأحقية أو جانبها الأخلاقي، باستثناء ميشال فوكو الذي استطاع النفاذ إلى معنى السلطة بحق، ومن ثم تحديد ماهيتها، وتأصيل مفهومها بعمق غير مسبوق.

وفي الحقيقة، فإن مفهوم السلطة لا ينفصل عن مفهوم الإستراتيجية في نظر فوكو الذي يحدده في ثلاثة معان، هي:

أ- المعنى الأول، ويخص الوسائل المستخدمة لبلوغ غاية معينة.

ب- المعنى الثاني، ويتعلق بطريقة تصرف أو سلوك أحد أطراف العلاقة، التي من خلالها يمكنه التأثير في الآخرين.

5)- محمد الزايد، ***«الفلسفة وماهية السلطة»***، **مجلة الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي، بيروت- لبنان، العددان33- 34، (آب/ أغسطس1983م)، ص11.

جـ المعنى الثالث، ويعني الأساليب المستخدمة في مواجهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام، والمقصود حينئذ هو الوسائل المعدة لإحراز النصر[6].

يعد المعنى الأخير أساسا في فكر ميشال فوكو، نظرا لتعلقه بمسألة المقاومة؛ إذ يؤكد فوكو أنه مادامت السلطة منتشرة فوق الجسد الاجتماعي كله، فإنه حيثما توجد سلطة فثمة مقاومة، وطبيعة هذه المقاومة تتمثل في كونها ليست خارج السلطة، فنقط المقاومة موجودة في كل مكان من شبكة السلطة ذاتها، ويعدد أشكالا متعددة من المقاومة، غير أنه يركز جهده على نضالات ثلاثة، هي:

أ'- تلك التي تقاوم أشكال الهيمنة (الإثنية والاجتماعية والدينية).

ب'- تلك التي تدين أشكال الاستغلال التي تفصل الفرد عما ينتجه.

جـ'- تلك التي تحارب كل ما يربط الفرد بنفسه، ويضمن خضوعه للآخرين[7].

4 - أنواعها

قسم ماكس فيبر السلطة، بحسب شرعيتها، إلى أنماط ثلاثة هي:

1- السلطة الروحية، أو **الكارزمية**[8] تستند إلى الوحي والإلهام، فهذا النمط من السلطة يستند إلى وجود قائد ملهم يتمتع بشخصية قيادية، فضلاً عما يمتلكه من قدرات فائقة مثل الذكاء العالي والثقافة والحدس والروح المعنوية العالية[9].

---

6)- ميشيل فوكو، **تاريخ الجنسانية I:** ***إرادة المعرفة،*** ترجمة ومراجعة وتقديم: مطاع صفدي، ترجمة: جورج أبي صالح، ، مركز الإنماء القومي، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1990م، ص102.

7)- دريفوس أوبيرد، وبول رابينوف، ***ميشيل فوكو مسيرة فلسفية***، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1989م، ص190.

8)- الكاريزما: هي القدرة على جذب انتباه الآخرين، وتحفيزهم، والتأثير عليهم دون جهد يذكر، فيحبهم الآخرون على الفور ويرغبون في البقاء قريبين منهم. ينظر: كيرت دبليو. مورتينسن، ***قوانين الكاريزما***، (د. تر)، مكتبة جرير للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 2012م. ص4.

9)- عبد الله عبد الرحمن، ***علم تطور الفكر الاجتماعي***، ص370.

2- السلطة التقليدية، تستند إلى قدسية التقاليد والقيم والإيمان بأمجاد الماضي، كما يقتضي أن ينظر الأعضاء للنظام الاجتماعي القائم بوصفه نظاماً مقدساً، وفي هذا النمط يرتبط الأتباع بالقادة ارتباطاً وثيقاً، من خلال الإحساس بأهمية الولاء والاحترام والطاعة لهم، وما يرتبط بذلك من معتقدات ثقافية واجتماعية تدعم بصفة عامة وضع هؤلاء القادة.

3- السلطة القانونية، تستند إلى الإيمان بسيادة القانون، وتفترض هذه السلطة وجود مجموعة رسمية من القواعد والمعايير والضوابط التي تتولى تنظيم السلوك تنظيماً عقلانياً من خلال السلطة القانونية العقلانية، وهذا النمط من السلطة يستند إلى الخبرة والمركز الذي يشغله الشخص في التنظيمات الحديثة لا سميا التنظيمات البيروقراطية الحكومية. ويرى فيبر أن البيروقراطي يمارس سلطته في إطار الحدود التي رسمتها القواعد القانونية، وليس بناءً على الصفات والقدرات الشخصية لصاحب السلطة، ولا بتأثير القيم والتقاليد الاجتماعية وقدسيتها[10].

جدير بالذكر أن تقسيم ماكس فيبر لأنواع السلطة قد جرى على أساس السلوك الاجتماعي فتكون العادات والتقاليد موجها لحركة المجتمع، أو العاطفة فيكون إعجاب الجماهير سببا في اتباعهم للقائد أو الزعيم، أو العقل فيكون التفكير دافعا لاقتناع الناس بشرعية صاحب السلطة[11].

مهما تشعبت مفاهيم السلطة وتنوعت، فلا ينبغي أن ننساق وراء مفهومها المادي المتمثل في النظام الحاكم لشعب أو دولة، إنما سنركز على مفهومها الصوري المكتنف لمستويات حياتنا كلها بدءا بالأسرة فالمدرسة والعمل والعلاقات الاجتماعية، ثم الممارسات السياسية والإبداعية، فكل هذه المستويات تعد مؤسسات تتميز بقوانينها الخاصة التي تحكمها وتحتكم إليها، من ذلك الأدبي الذي اتسمت علاقته بالسياسي بصراع تاريخي مرير، توزعت بين الاتفاق والاختلاف، بحثا عن الأفضل بالنسبة للفرد والجماعة على حد سواء.

---

10)- ***المرجع السابق***، ص371.

11)- فريدة أبو عز الدين، «**ما هي السلطة؟**»، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت- لبنان، العددان33- 34، (آب/ أغسطس 1983م) ص32.